أن الانتحار فعل مذموم وغير مرغوب بل ومرفوض من الناحيتين الدينية والاجتماعية , إذ أن جميع الأديان تُحرم الانتحار لسبب أنه قتل للنفس الإنسانية وهذه النفس خلقها الله وهي بالتالي ملك له وحده وهو صاحب الحق في استعادتها وقت يشاء , أما اجتماعياً فيُنظر إلى الانتحار على أنه تعبير عن ضعف إرادة المنتحر وعجزه عن مواجهة صعوبات الحياة .

ولكن ماذا نعني بالانتحار؟ الانتحارفي معناه البسيط هو قيام الفرد بإنهاء حياته بشكل إرادي وفي توقيت يختاره بنفسه ، ونقول أن الحياة أي حياة ، تسعى لبذل كل ما في وسعها لكي تبقى موجودة طيلة تلك الفترة الزمنية المحددة مسبقاً وهذا ما يسمى في الطبيعة بصراع البقاء ، كما تسعى لاستنساخ ذاتها باستمرار في كائنات حية جديدة وهذا ما يسمى بالتكاثر ، فليس الموت عادة خياراً مفضلاً للإنسان بل هو أمر غير مرغوب وغالباً ما يسعى الإنسان لتجنبه بجميع الوسائل الممكنة لكنه مفروض عليه بشكلٍ طبيعي أيضاً وأقصى ما يستطيع الإنسان أن يفعله هو أن يؤخر توقيته . إن أمكن . في بعض الحالات كمعالجة المرض مثلاً.

ومن هذه الوجهة يبدو الانتحار فعلاً مخالفاً للطبيعة بشكلٍ صارخ لأنه يعاكس فطرتها تماماً في أنه لا يبدي اهتماماً كبيراً بالاحتفاظ بالحياة بل بالعكس يعمل على إنهائها قبل أوانها الطبيعي ويشذ عن قاعدة صراع البقاء ، لكنه يمكن أن يعتبر تعبيراً عن إرادة خارقة

لقوانين الطبيعة وتبادلاً في الأدوار بين الطبيعة وأحد موجوداتها ، أي الإنسان .

والغريب في الأمر أن الانتحار ... ليس ظاهرة إنسانية فقط ... ولكنه ظاهرة حيوانية أيضاً ، **فهل تُقدم الحيوانات أيضاً على الانتحار ؟**

يثار جدل في أوساط العلماء بشأن مدى إمكانية إقدام الحيوانات طواعية على الانتحار ووضع حد لحياتها ، وتعرض مجلة تايم الأمريكية حالات كثيرة أقدمت فيها حيوانات على الانتحار لأسباب مختلفة .

فيزعم باحث أمريكي ومدرب للحيوانات أنه شاهد أحد الدلافين وهو يقتل نفسه ، وقال إنه ألقى نظرة الوداع على عينيه قبل أن يغوص إلى قاع الخزان ويوقف أنفاسه ، إن الدلافين قادرة على الانتحار عندما تشعر أن الحياة لم تعد تطاق .

كذلك الطريق إلى مقبرة الأفيال ظاهرة غريبة لم تفسر إلى الآن ، فعندما تشعر الأفيال بقرب موتها أو لعجزها ومرضها ، فإنها تذهب إلى أماكن المياه وتبقى هناك إلى أن تموت وتتراكم عظامها هناك لذلك يسمى المكان بمقبرة الأفيال مجازاً .

ولا أحد يعلم حتى يومنا هذا ما هو سر الانتحار الجماعي للحيتان ... حيث أنها فجأة وخلال أيام معينة من السنة تندفع إلى الشواطئ معرضة حياتها لخطر الموت أثناء قيامها بهذه الرحلة الانتحارية . فانتحار الحيتان ... غموض عمره آلاف السنين ...

وفي السويد والنرويج تُرى مئات الفئران تهاجر في وقت محدد من كل سنة لتلقي بنفسها في بحر الشمال ، وفي مملكة نيبال ، مرة كل سنة تجئ العصافير من كل الجهات وتلقي بنفسها في النار ... لتموت ...

أما عن النسور فهي لا تموت لكنها تنتحر ولكن كيف تنتحر النسور وتنهي حياتها ؟

يُقال أن النسور . تجدد قوتها ونشاطها مع تقدم العمر . ولكن بفعل الشيخوخة والمرض تطير إلى أقصى ارتفاع تستطيع أن تصل إليها ثم تمتنع عن الطعام زالشراب . فالنسور لا تفضل أن تموت إلا في أعلى قمم الجبال . لإحساسها بعزة النفس والقيمة . والدليل على ذلك أنه عندما يتم البحث عن جثث النسور فلا توجد إلا على قمم الجبال .

وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد من المرض والضعف تسكن النسور وتمتنع عن الطعام ثم تضم الأجنحة ثم تسقط سقطة الموت بكبرياء ... أي تنتحر .

أما عن الانتحار الإنساني فما يثير التعجب أنه في كل 40 ثانية هناك شخص ينتحر في مكان ما من هذا العالم ، وفي كل عام هناك مئات الآلاف من الأشخاص يموتون منتحرين في العالم . وفي كل عام يموت 800 ألف إنسان بعمليات انتحار مختلفة . إنها بحق ظاهرة تستدعي الوقوف طويلاً والتفكير في أسبابها ونشأتها ،

بـــل وكيفيـــة علاجهـــا ، وفـــي تناولنـــا لهـــذه الظـــاهرة لابـــد أن نعـــرف العوامل المؤدية للانتحار؟

ـــ إن عنصـــر الكآبـــة هوالأوفرحظـــاً فـــي الســـيطرة علـــى مشـــاعرمن لديـــه قابلية للانتحار.

ـ كذلك مشاعر اليأس لها دور كبير في التمهيد للانتحار .

ـــ إن تكـــرار محـــاولات الانتحـــار أو التفكيـــر فـــي الانتحـــار هـــي أســـباب قوية لتنفيذ هذا الانتحار فيما بعد .

ـــ إن الإدمـــان علـــى الكحـــول والمخـــدرات قـــد يكـــون أحـــد الأســـباب المؤديـــة للانتحار .

ـــ المعتقـــد الـــديني حـــول الانتحـــار لـــه دور أساســـي فـــي قبـــول فكـــرة الانتحـــار ، فعنـــد جهـــل الإنســـان بـــأن الانتحـــار محـــرم فـــي كـــل الأديـــان فقـــد يستســـهل هـــذه العمليـــة . وقـــد يعتبـــر الـــبعض أن الانتحـــار هـــو قـــرار نبيل للدفاع عن أخطاء أو خسارات كبيرة لا يتحملها العقل .

ـــ فقـــدان شـــئ غـــالٍ أو خســـارة كبيـــرة ، وهـــذا يـــؤدي لنـــوع مـــن رد الفعـــل قـــد ينتهي في الانتحار .

ـــ عوامـــل نفســـية مثـــل العزلـــة أو العدوانيـــة قـــد تـــؤدي إلـــى التفكيـــر بالانتحار .

*يؤكـــد العلمـــاء الـــذين درســـوا آلاف الحـــالات لأشـــخاص مـــاتوا منتحـــرين علـــى ضـــرورة العنايـــة بمـــن لـــديهم اضـــطرابات نفســـية قـــد تـــؤدي بهـــم إلـــى

الانتحـــار . وضـــرورة رعـــايتهم مـــن الناحيـــة الطبيـــة وتـــوفير الحالـــة النفسية السليمة لهم .

والجـــدير بالاشـــارة هـــو أن كـــل إنســـان لديـــه إمكانيـــة الإقـــدام علـــى الانتحـــار فيمـــا لـــو تـــوفرت الظـــروف المناســـبة ، وهـــذا يخـــالف الاعتقـــاد الســـائد أن هنـــاك أشخاصـــاً محـــددين فقـــط لـــديهم ميـــول نحـــو الانتحـــار، ولكـــن هـــل يكفـــي الحـــديث عـــن عواقـــب الانتحـــار ونتائجـــه الخطيـــرة وآلام للتصدي لهذه الظاهرة ؟

بالتأكيـــد لا ، لأن الدراســـات الحديثـــة تؤكـــد علـــى ضـــرورة بـــث الأمـــل لـــدى أولئـــك اليائســـين المقـــدمين علـــى الانتحـــار ، وضـــرورة معـــاملتهم معاملـــة خاصـــة . ولـــذلك نـــرى أن هنـــاك مئـــات المواقـــع والمراكـــز قـــد خصصت للتعامل مع من لديه ميل نحو الانتحارأويحاول ذلك.

فـــي الحقيقـــة يُهـــدد الانتحـــار كـــل شـــعوب العـــالم ولكـــن بـــدرجات تختلـــف حســـب الـــدول وحســـب الظـــروف والأزمنـــة ، وتُـــوفر منظمـــة الصـــحة العالميـــة أهـــم الإحصـــائيات الدوليـــة فـــي هـــذا المجـــال ولكـــن هـــذه الإحصـــائيات تغطـــي أقـــل مـــن نصـــف دول العـــالم تقريبـــاً وتظـــل منقوصـــة وغيـــر مجديـــة بالنســـبة إلـــى عـــدد آخـــر مـــن الـــدول ، ومـــن إحصـــائيات المنظمـــة أنـــه ينتحـــر ســـنويا قرابـــة مليـــون شـــخص فـــي مُختلـــف أنحـــاء العـــالم أي بمعـــدل تقريبـــي انتحـــار إنســـان كـــل 40 ثانيـــة وهـــو مـــا يُشـــكل حســـب إحصـــائيات 2001 أكثـــر مـــن ضـــحايا كـــل مـــن القتـــل (500 ألف) والحرب (230 ألف) .

ومقابل كل شخص يموت منتحراً ، هنالك عدد كبير ممن يُحاولون الانتحار وحول هؤلاء جميعاً ، عائلات وأقرباء وأصدقاء يُصابون بصدمات وآثار لا تقدر.

ويبلغ المعدل العالمي لنسبة الانتحار 14 ,5 عن كل 100 ألف نسمة وهي نسبة أقل من النسبة الحقيقية بسبب أن الانتحار يظل في معظم دول العالم عملاً سرياً محاطاً بهالة من التعتيم وقد يخفي من سجلات الوفاة . إضافة إلى أنه يُغطي على اختلافات كبيرة ومُتعددة بين الدول وحسب النوع البشري إذ تبلغ نسبة المُنتحرين ثلاث مرات نسبة المُنتحرات ولقد ارتفعت نسبة انتحار الرجال بشكل كبير في الخمسين سنة الماضية كما ارتفعت نسبة المُسنين المُنتحرين بشكل هام لتصبح أول فئة معنية بالانتحار خاصة في الدول المتقدمة .

أما الانتحار من داخل منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية

إن معدل نسبة الانتحار داخل منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية9 ,13 لكل 100 ألف نسمة أقل من المعدل العالمي وهذا المعدل يحرز تراجعاً منذ عشرين سنة .

ويتراجع الانتحار في معظم الدول المتقدمة والتي كان بعضها يتميز بأعلى نسب الانتحار في العالم (الدنمارك وفنلندا والنمسا وسويسرا والسويد) أو بنسب أقل (فرنسا وألمانيا وبلجيكا) ولم تكد ترتفع نسبة الانتحار إلا في اليابان وأيسلندا . وإضافة إلى الدول التي انخفضت نسب الانتحار لديها بعد أن كانت مُرتفعة بشكل كبير ،

فإن بعض الدول استطاعت خفض نسب كانت مُتوسطة مثل كندا (من 14 إلى 11,7) أوالمملكة المتحدة (من 8,8 إلى 7,5)وهولندا(من 10,1 إلى 9,4).

توجد حالياً أعلى نسبة انتحار بالمجر (28 لكل 100 ألف) ولكن هذا الترتيب السيئ لا يجب أن يخفي أن المجر هي الدولة الوحيدة التي استطاعت خفض نسبة الانتحار لديها بما يقارب النصف (كانت 44,9 سنة 1980) وذلك بخلاف عديد من الدول التي عرفت في نفس المدة ، تزايداً كبيراً في نسب الانتحار لديها مثل التشيك (من 0,7 إلى 15,9) وأسبانيا (من 4,4 إلى 8,4) وأيرلندا (من 6,3 إلى 12,2)والمكسيك (من 1,4 إلى 3,8) .

وتشكل اليونان والمكسيك والبرتغال وإيطاليا والمملكة المتحدة وحتى أسبانيا حالات استثنائية من حيث ضعف نسب الانتحار لديهاإذ هي على التوالي 3,6 و3,8 و 5,1.

وتحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة 22 بنسبة 10,4 وهذه النسبة المتوسطة في انخفاض مستمر .

وتشكل ألمانيا حالة خاصة ليس فقط لأنها صاحبة نسبة انتحار أقل من معدل المنظمة وأقل من كل جاراتها (فرنسا وبلجيكا ولكسمبورج والتشيك ...) بل لأنها ابتلعت ألمانيا الشرقية دون أن تعرف تزايداً في نسب الانتحار لديها بل بالعكس فإن نسبة الانتحار لديها انخفضت في 1980 (من 17,5 إلى 13,5) .

وتشكل اليابان أول دولة صناعية من حيث نسبة الانتحار لديها (25,5 لكل 100 ألف نسمة).

ونقول أن للانتحار تعريفان تعريف موضوعي وهناك تعريف حسب المفاهيم النفسية :

التعريف الموضوعي : الانتحار هو قرار يأخذه شخص من أجل إنهاء حياته .

التعريف النفسي : هو نوع من العقاب الذاتي أو الانتقام من الذات أو إلحاق الأذى للذات .

وهناك بعض المؤشرات التي تشير إلى أن شخصاً معيناً مقبلاً على الانتحار وهي على سبيل المثال :

1ـ بالدرجة الأولى وهي الأكثر احتمالية ، الأشخاص الذين حاولوا الانتحار من قبل.

2ـ الأشخاص الذين يعانون من اكتئاب وسبق أن عانوا من اكتئاب فكلما ارتفعت حدة الاكتئاب ترتفع احتمالية توجه الشخص للانتحار .

ومن علامات مرض الاكتئاب ، المزاج السئ ، إنعدام الحيوية ، إنعدام الإحساس بوجود شئ ممتع ، مع تراجع اجتماعي وانسحاب وانزواء .

3ـــ إذا بـــدأ الشـــخص بـــبعض خطـــوات تنفيذيـــة فهـــذا يعنـــي أن فكـــرة الانتحـــار لديـــه قـــد بـــدأت تتكـــون مثـــل أن يقـــول :" لقـــد اشـــتريت كميـــة كبيرة من الأدوية لآخذها وأرتاح ".

ويمكن تفادي حدوث مثل هذه المأساة بواسطة :

1ـــ الإنصـــات للأشـــخاص المقـــربين والأصـــدقاء والأبنـــاء خصوصـــاً مـــن يمرون بظروف صعبة .

2ـــ التواصـــل العـــاطفي والتحـــدث بهـــدوء مـــع المقـــربين والأصـــدقاء والأبناء خصوصاً من يمرون بظروف صعبة .

3ـــ عـــدم الضـــغط علـــى الأبنـــاء بخصـــوص التحصـــيل الدراســـي مهمـــا كان مستوى التحصيل .

4ـ الأفـراد الـذين يعـانون مـن القلـق الشـديد ، والأعـراض التـي قـد تشـمل تعـــاطي الكحـــول ، الأرق ، الانفعـــالات الشـــديدة ، فقـــدان الاهتمـــام بالأنشـــطة التـــي كانـــت تمـــارس ، واليـــأس ، والهـــواجس حـــول إمكانيـــة حدوث شئ سيئ لا بد من عرضهم على الاطباء المتخصصين .

5ـــ إخفـــاء الأســـلحة الناريـــة والأدويـــة ، والســـكاكين وغيرهـــا مـــن الأشـــياء التـــي غالبـــاً مـــا تســـتخدم لقتـــل الـــنفس ، واســـتخدام الأســـاليب التـــي يمكـــن أن تســـاعد علـــى التفكيـــر بشـــكل أكثـــر وضـــوحاً وأكثـــر عقلانيـــة للتعامـــل مع آلامهم .

ومن أهم الملاحظات حول الانتحار :

ـ محاولات الانتحار أكثر بين الإناث ولكن الانتحار الفعلي أكثر بين الذكور .

ـ أكثر نسب الانتحار للنساء بين جيل 25 ـ 35 ، بينما الرجال بين جيل المراهقة المتقدمة 16 ـ 25 .

ـ أكثر وسائل الانتحار استخداماً عند الإناث الأدوية والحرق وعند الذكور الأسلحة النارية .

ـ تقل نسبة الانتحار بين المتزوجين ومن لهم أطفال وفي الحروب والازمات العامة.

ـ خمس المنتحرين يتركون رسائل وعلامات تشير إلى انتحارهم .

ـ تحدث حالات انتحار كثيرة في فترة التحسن ، غير أن الشخص الذي حاول الانتحار في يوم ما من حياته لا يُعد بالضرورة شخصاً معرضاً للخطر بشكل دائم ولكن قد تعاود الأفكارالانتحارية بعض الأشخاص .

ـ حوالي 35% من حالات الانتحار ترجع إلى أمراض نفسية وعقلية كالاكتئاب والفصام والإدمان ، و65% يرجع إلى عوامل متعددة مثل التربية وثقافة المجتمع والمشاكل الأسرية أو العاطفية والفشل الدراسي والآلام والأمراض الجسمية أو تجنب العار أو الإيمان بفكرة أو مبدأ مثل القيام بالعمليات الانتحارية.

ويمكننا أن نقدم أمثلة من الانتحار حول العالم :

*الانتحار في أمريكا 2005

لقد كشفت إحصائية أمريكية حديثة نشرتها صحيفة " يو إس إيه توداي " الأمريكية في عددها الصادر في التاسع من مارس 2005 عن تسجيل 29 ألف حالة انتحار سنوياً بواقع 80 حالة يومياً . ويعني ذلك 3 حالات انتحار مقابل جريمتي قتل ، وقد بلغت حالات الانتحار في ولاية أوريجون وحدها 518 حالة مقابل 71 جريمة قتل عام 2002 .

*الانتحار في فرنسا

كشفت دراسة فرنسية أن 160 ألف فرنسي يحاولون كل عام الانتحار يموت منهم 32 يومياً ، العديد منهم من الشباب خاصة من النساء .وأظهرت الدراسة التي أجرتها رئيسة الاتحاد القومي الفرنسي لمكافحة الانتحار أن ظاهرة الانتحار تضرب جميع الطبقات الاجتماعية في فرنسا بدون استثناء حيث تتركزعملية الانتحار بشكل كبير بين الشباب في المرحلة السنية ما بين 16 و17 سنة . وأوضحت الدراسة أن معدلات الانتحار زادت في فرنسا في الفترة من 1993 إلى 1999 بنسبة 40 % لدى الفتيات و20 % لدى الفتيان ، رغم انخفاض معدلات نجاح محاولات الانتحار في فرنسا بنسبة 15 % اعتباراً من سنة 1985 .

*الانتحار والاكتئاب عند الجنود 2004

أظهرت الاحصائيات أن نسبة الانتحار بين الجنود والضباط في صفوف الجيش الأمريكي العاملين في العراق أعلى معدلاتها ، كم أظهرت الإحصائيات أنه تم إعادة 478 جندياً من العراق إلى

أمريكا بعد إصابتهم باكتئاب وأمراض وأزمات نفسية ، وكشفت صحيفة " يو إس تودايّ " عن انتحار أحد عشر جندياً من الجيش الأمريكي في العراق وثلاثة من مشاة البحرية وقد أرسل البنتاجون فريقاً من الخبراء والأطباء النفسيين لدراسة هذه الظاهرة المتصاعدة الخطيرة !!!

*الانتحار في اليابان 2004

ذكرت الشرطة اليابانية أن معدلات الانتحار ارتفعت بدرجة عالية جداً ، فقد قام في العام 2003 ، 34427 شخصاً يدينون بالبوذية بقتل أنفسهم وتعد حالات الانتحار في عام 2003 هي أعلى نسبة سجلتها الشرطة منذ قيامها بإجراء إحصائيات الانتحار عام 1978 . وحسب الإحصائيات فإن 70 % من المنتحرين هم ذكور في العشرينات من أعمارهم .

*الانتحار في مصر (2009)

الأرقام التي أعلنها الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء تفيد أن هناك 104 آلاف محاولة انتحار بين شباب مصر وأغلبهم في المرحلة العمرية من 15 إلي 25 عاماً بنسبة تقدر ب 66,6 % .

وهناك 43 ألف شخص (ذكور وإناث من مختلف الاعمار بمختلف المحافظات في الريف والحضر حاولوا الانتحار بمختلف الوسائل ، وهناك 54 ألفاً إجمالى ممن حاولوا الانتحار خلال الفترة من يونيو 2008 إلى يونيو 2009 تمكن 4 آلاف منهم من

الانتحار بينما تدخل القدر في إنقاذ 50 ألفاً ممن أقدموا على الانتحار .

ومما يؤكد تعاظم وانتشار الظاهرة أنه في عام 2005 شهدت مصر 1160 حالة انتحار إلا أن هذا المعدل ارتفع إلى 2355 في عام 2006 ، ثم واصل ارتفاعه إلى 3700 حالة في عام 2007 ، ليصل إلى 4200 في عام 2008 ثم كسر حاجز الخمسة آلاف منتحر في عام 2009 بمتوسط 14 حالة انتحار يومياً لتقارب مصر أعلى معدلات الانتحار عالمياً .

كما كشف تقرير صادر من مؤسسة ملتقى الحوار للتنمية وحقوق الإنسان أن ربات البيوت هن الأكثر في محاولات الانتحار وأن من أهم أسباب الإقدام على الانتحار الخلافات الزوجية والظروف المادية للأسرة .

وأضاف التقريرأن اسباب انتحار الرجال هو الحاجة للمال والبطالة وتعاطي المخدرات التي تذهب بالعقول .

*تزايد ظاهرة الانتحار في الأردن .

تصاعدت ظاهرة الانتحار في أوساط الأردنيين بعدما ارتفع عدد الحالات المسجلة عام 2005 إلى 40 حالة منها 4 حالات فقط خلال أسبوعين ، ويرجع علماء اجتماع ومختصون ارتفاع ظاهرة الانتحار في الآونة الأخيرة إلى " الاكتئاب النفسي " بينما يؤكد آخرون أن سببها " تفشي ظاهرة البطالة في المجتمع " . ويبدو أن

الأمـــراض النفســـية ، الناتجـــة عـــن ظـــروف اجتماعيـــة واقتصـــادية ومعيشية صعبة ، في تزايد واتساع في المجتمع الأردني .

والجـدير بالاشـارة أنـه تتزايـد الأعـداد المسـجلة مـن مرضـى العيـادات النفسـية العامـة والخاصـة . وتقـول إحصـائية صـادرة عـن وزارة الصـحة الأردنيـة أن عـدد مرضـى العيـادات النفسـية التابعـة لـوزارة الصـحة ، ارتفـع العـام الماضـي ليصـل إلـى 23369 مـريض ومريضـة مـنهم 11622 مـن الـذكور و 11747 مـن الإنـاث وأغلـبهم فـي الفئـة العمريـة مـن 15 . 45 سـنة . بينمـا بلـغ عـدد الحـالات النفسـية والعقليـة التـي أدخلـت للمركـز الـوطني للصـحة النفسـية فـي نفـس الوقـت 991 حالـة . أمـا المركـز الـوطني للإدمـان فـارتفع عـدد حـالات الإدخـال فيـه مـن 121 حالـة عـام 2001 إلـى 253 حالـة عـام 2004 ، وأثبتـت دراسـة حديثـة أجراهـا طبيـب نفسـي لمرضـى عيـادات الطـب النفسـي فـي القطـاع الخـاص أن 40 % مـن المرضـى للعيـادات النفسـية هـم مـن الجـامعيين 23 % مـن حملـة الثانويـة العامـة و17 % أميـون و8 % من خريجي كليات المجتمع .

*دوافع وأسباب تصاعد حالات انتحار الشباب الغربي :

يقـدر علمـاء الاجتمـاع أن ظـاهرة الانتحـار لا تتعلـق باللحظـات الحاضـرة التـي يعيشـها الشـباب فقـط ، لكنهـا تكمـن فـي عوامـل تتعلـق بالماضـي الـذي كـان يعيشـه ، حيـث الرواسـب النفسـية العميقـة والمشـاكل المتراكمـة التـي كـان يواجههـا فـي مرحلـة مـا قبـل الانتحـار ، التـي تتطـور مـع الأيـام حتـى تصـل إلـى تشـكيل أزمـة نفسـية داخليـة

يكون نتيجتها الانتحار ، بل إن بعض الأزمات تكون سبباً لنمو ونضوج الشاب في مقتبل العمر .

ويعتبر الباحثون أن مرحلة المراهقة ، هي أكثر المراحل التي تشهد ظاهرة الانتحار نظراً لحالة عدم الاستقرار في هذه المرحلة على مستويات عدة اجتماعية ونفسية فضلاً عما يعانيه الشاب من تغييرات سيكولوجية وجسمانية وأسرية حيث يتسبب في كثير من الحالات ، إعطاء المراهق حريته في اتخاذ القرارات وبناء شخصيته المستقلة التي تساعده على الدخول إلى العالم المحيط به من تلقاء نفسه وبقرار منه قد يكون سلبياً في بعض الحالات . ولا يبدو أن التغييرات على المستوى الجسماني للمراهق تسبب له أزمات كبيرة تؤدي إلى حالات الانتحار ، بل إن الكثير منها تولد في نفسه حالات من القلق الذي يعتريه نتيجة محاولات التعرف على نفسه تمهيداً لإقامة علاقات مع الآخرين . وعلى المستوى الاجتماعي يعاني المراهق من التردد بين مرحلتي الطفولة والشباب . هذا التردد الذي يعاني منه المراهق في هذه المرحلة يعطي دفعة قوية باتجاه تجاوزها للوصول إلى مرحلة الشباب ، فيواجه فيها انتقادات وتقييمات عديدة من الوسط المحيط به،وهو بدوره يحاول إعطاء فلسفة خاصة لحياته من خلال طرح الأسئلة حول الوسط المحيط به والموقع الذي يشغله في هذا الوسط الذي قد يؤدي به إلى حالات من اليأس وفقدان معنى الوجود بحد ذاته .

وتلقي الدراسة باللائمة على انتشار المخدرات والكحول وتراكم الديون بين الشباب والتي تدفعهم إلى التخلي عن التفكير واللجوء

إلـــى الانتحـــار عنـــدما تشـــتد علـــيهم مشـــاكل الحيـــاة . كمـــا تقـــول ، إن الرجـــال عـــادة مـــا يلجـــأون إلـــى طـــرق عنيفـــة فـــي الانتحـــار ، بينمـــا تحـــتفظ النســـاء بصـــورة جميلـــة عـــن أنفســـهن عنـــد المـــوت لـــذلك يلجـــأن إلـــى تنـــاول جرعـــات مفرطـــة مـــن الأدويـــة ويمـــتن وهـــن نائمـــات . ويضـــيف أن الرجـــال لا يهتمـــون كثيـــرا إذا كانـــت طـــرقهم فـــي الانتحـــار عنيفـــة فـــذلك يـــتلاءم مـــع ثقـــافتهم . وأن المجتمـــع يتوقـــع الكثيـــر مـــن الشـــباب ولكـــن عنـــدما يجـــد الشـــباب أنفســـهم عـــاجزين عـــن الوفـــاء بهـــذه التوقعـــات فـــإنهم يلجـــأون إلـــى الانتحـــار للهـــروب مـــن أعبـــاء الحيـــاة . كـــذلك فـــإن هنـــاك حاجـــة لتـــدريب الشـــباب علـــى متطلبـــات الحيـــاة الحديثـــة ، ومـــا الانتحـــار إلا دليـــل واضـــح علـــى وجـــود مشـــكلة فـــي حـــل المشـــاكل . ويضـــيف أن الشـــباب فـــي ســـن الخامســـة عشـــرة إلـــى التاســـعة عشـــرة هـــم فـــي وضـــع قلـــق وإن مســـؤولية الجميـــع فـــي المجتمـــع هـــي مســـاعدتهم علـــى تجـــاوز الصـــعوبات التـــي تـــواجههم ، إن الانتحـــار هـــو علامـــة المجتمـــع المريض .

والجـــدير بالأشـــارة أن هنـــاك العديـــد مـــن الأشـــخاص الـــذين تمتعوابنجـــاح فـــائق فـــي مجـــالاتهم فـــي كـــل أنحـــاء العـــالم لكـــنهم أنهـــوا حيـــاتهم بالانتحار ومن أشهرهم :

ـ الكاتبة أورى صالح كاتبة وناشطة مصرية .

ـ إرنست همنجواي كاتب أمريكي وفائز بجائزة نوبل للآداب .

ـــ ادوار جـــون ســـميث ، قبطـــان الســـفينة " تيتانيـــك " التـــي غرقـــت فـــي المحيط عام 1912 .

ـ أدولف هتلر عام 1945 بعد هزيمته في الحرب العالمية الثانية .

ـــ إسماعيل أدهم كاتب مصري شاب حصل على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة موسكو أيام ثورة الشيوعية الماركسية وعندما رجع إلى بلاده كان قد امتلأ بالنظريات الماركسية حول الحياة والكون والتاريخ ، وألف فيها عدداً من الكتب كان أشهرها كتابه : لماذا أنا ملحد ؟ الذي أثار ضجة كبرى في الساحة الثقافية آنذاك وكان إسماعيل أدهم ، يجيد عدداً من اللغات ، وله كثير من الدراسات والكتب والبحوث ، لكنه كره الحياة التي لا تنتهي إلى شئ . فكانت النهاية ، ففي يوم 23 يوليو 1940 فوجئت الأوساط العلمية والثقافية بخبر انتحار الدكتور إسماعيل بإلقاء نفسه في البحر على شاطئ الإسكندرية ، حيث وجدت جثته ، ووجدت في ملابسه رسالة تؤكد انتحاره بسبب سأمه من الحياة .

ـ ديبندار بيكرام شاه ولي عهد مملكة نيبال ، أطلق النار على جميع أفراد أسرته ثم انتحر بالرصاص .

ـــ الدكتورة دريه شفيق مؤسسة أول حزب نسائي في مصر ، ومن أشهر المطالبات بتحرير المرأة .

ـــ زنوبيا ملكة تدمر ، انتحرت بتناول السم بعد أسرها من قبل الرومان .

ـــ الأمير طلال العبد لله الرشيد ،حاكم حائل (ابريل 1847 ـــ نوفمبر 1869) انتحر بإطلاق النار على رأسه بعد إصابته

بمـــرض عضـــال كـــان علاجـــه ســـيؤثر علـــى مقدراتـــه الإداريـــة والسياســـية .

ـــ الملكـــة كليـــوبترا ، انتحـــرت بواســـطة وضـــع الصـــل علـــى ذراعيهـــا وهـــو نوع خطير من أنواع الحيات .

ـــ الروائيـــة فرجينيـــا وولـــف حيـــث أخـــذت طريقهـــا فـــي البحـــر وربطـــت حجـــراً ثقـــيلاً فـــي ملابســـها ، والقـــت نفســـها فـــي أحـــد الأنهـــار ولـــم تكتشـــف جثتهـــا إلا بعـــد ثلاثـــة أيـــام ، وكانـــت قـــد تركـــت لزوجهـــا رســـالة تقـــول فيهـــا : سأفعل ما أراه أفضل .

أما الأشخاص المشكوك في انتحارهم فمن أشهرهم

ـــ غـــازي كنعـــان ،وزيـــر الداخليـــة والـــرئيس الســـابق لشـــعبة المخـــابرات الســـورية فـــي لبنـــان أنهـــى حياتـــه بـــإطلاق النـــار مـــن مســـدس فـــي فمـــه وهـــو علـــى رأس العمـــل فـــي الأول مـــن أكتـــوبر 2005 وتـــدور الشـــكوك حـــول هـــذه الروايـــة أذ يعتقـــد أن النظـــام الســـوري قـــام بتصـــفيته بعـــد أشـــتباه بعلاقته بأغتيال رفيق الحريري .

ـ سعاد حسني ، ممثلة مصرية .

ـــ دايـــل كـــارنيجي الكاتـــب الأمريكـــي ، وصـــاحب أروع الكتـــب فـــي فـــن التعامـــل مـــع النـــاس ، وصـــاحب أكثـــر الكتـــب مبيعـــاً فـــي العـــالم ، فهـــو صـــاحب كتـــاب : كيـــف تكســـب الأصـــدقاء وتـــؤثر فـــي النـــاس ... وكتـــاب : دع القلـــق وابـــدأ الحيـــاة ، ولكـــن بعـــض المصـــادر تنكـــر إقـــدام كارنيجي على الانتحار وتؤكد أنه مات بالمرض .

ـ مارلين مونرو ، نجمة السينما الأمريكية الأكثر شهرة عالمياً ، تلك التي تربعت على عرش السينما العالمية سنين طويلة ، وحتى اليوم رغم مرور ثلاثين عاماً على وفاتها ، إلا أن الإعلام ما زال يتكلم عنها في كل ذكرى لوفاتها ، لكن مارلين مونرو رغم شهرتها الواسعة عالمياً كانت غير سعيدة ، وصرحت بذلك عدداً من المرات وكانت مصابة بقلق حاد وكآبة مستمرة ، بل أصيبت في آخر أيامها بالهستيريا ولم تطق ذلك العذاب ... وبعد أيام صعق المجتمع الأمريكي بخبر انتحار مارلين مونرو نجمة السينما الأمريكية وهي في أوج شهرتها ، وذلك بالتهامها الكثير من الحبوب المنومة .

ـ المغني الأمريكي ألفيس بريسلي الملقب بملك الروك أند رول .

ـ المغني الأمريكي مايكل جاكسون الملقب بملك البوب .

وعن أغرب قصة انتحار في التاريخ القضائي والمحاكمات القانونية قصة واقعية

قد لا يصدق البعض هذه القصة لكثرة ما فيها من صُدف غريبة ، كما أن أحداثها تصلح لإثارة أكثر العقول إيماناً بأنها رأت وسمعت ما يكفي وأن ليس هناك ما يثير ، غير قصص الخيال العلمي في السينما والتلفزيون وقد كانت أحداثها الغريبة موضوع خطبة ألقاها رئيس جمعية علماء التشريح في جرائم القتل بأمريكا ، وأثارت دهشة مستمعيه في ذلك الحفل ، ويفترض أنهم رأوا الكثير ، ليس بسبب صدفها العجيبة فقط ، بل ولتعقيداتها القانونية ، فهي قصة جريمة قتل غير مسبوقة ، ولا يمكن أن تتكرر بسهولة مرة أخرى .

ففي مارس 1994 بين تقرير تشريح جثة أمريكي يدعى " رونالد أوبوس" أنه توفى من طلق ناري في الرأس بعد أن قفز من سطح مبنى مكون من عشرة طوابق في محاولة للانتحار تاركآ خلفه رسالة يُعرب فيها عن يأسه من حياته , فأثناء سقوطه أصابته رصاصة انطلقت من إحدى نوافذ المبنى ولم يعلم المنتحر ومن أطلق النار عليه بوجود شبكة أمان بمستوى الطابق الثامن وضعها عمال الصيانة وكان سينجو من الموت لو لم تُطلق هذه الرصاصة , ومع الفحص تبين أنها أطلقت من الطابق التاسع وكان يسكن هذه الشقة زوجين , ولقد أشتهرا بين الجيران بكثرة الشجار ووقت وقوع الحادث كان الزوج يهدد زوجته بإطلاق الرصاص عليها إن لم تصمت, وفي هياج شديد ضغط على الزناد فأنطلقت الرصاصة من المسدس ولكنها لم تصب الزوجة بل خرجت من النافذة لحظة مرور جسد رونالد فأصابته في رأسه وقتلته , وبهذا يكون الرجل هو القاتل ولكن الغريب أنه أصر على أن المسدس دائمآ يكون خالٍ من القذائف وبينت التحقيقات أن أحد الجيران قد شاهد منذ بضع أسابيع أبن الرجل يقوم بحشو المسدس بالرصاص , فلقد تآمر الولد الإبن على والديه وهو عالم بما دأب عليه أبوه من عادة تهديد أمه بالقتل فإذا نفذ تهديده فسيتخلص من أبوه وأمه بضربة واحدة , وهنا تحولت تهمة القتل إلى الابن وبذلك كان القاتل والمنتحر هو نفس الشخص" رونالد أوبوس" لأنه هو من ألقى بنفسه من المبنى.

والجدير بالذكر أنه ليس الانتحار الفردي هو النوع الوحيد للانتحار فيوجد أيضاً ما يُسمى بالانتحار الجماعي ، فالانتحار الجماعي له

رواسب عقائدية متطرفة وأصحابها يتصفون بأن لديهم دافعاً داخلياً مختلفاً وهدفاً واحداً هو الموت ، ولديهم طقوس دينية وتحضيرات له ، وتتولد لديهم الرغبة بالموت بنفس الطريقة وفي نفس الوقت ، ويتم هذا من خلال هيئات وجماعات تُشكل ميثاقاً مع الموت والتي منها على سبيل المثال :.

ـ طائفة الوصايا العشر

طائفة أوغندية تتبع المذهب الكاثوليكي المسيحي ، أسسها راهب يدعى " جوزيف كيبويتيره " ، ومعه عدد من الراهبات . كانت هذه الطائفة تعتقد بأن القيامة ستحدث في يوم 31 ديسمبر 1999 ، وقد أقنعهم الراهب بأنه ينبغي عليهم بيع ممتلكاتهم والتبرع بها للكنيسة ، والاستعداد للذهاب إلى السماء . وبالفعل قام هؤلاء المنتحرين ببيع ممتلكاتهم ولكن القيامة للأسف لم تقم . وفي شهر مارس 2000 بدأت موجة من الانتحار الجماعي بين أعضاء تلك الطائفة الضالة ، وتم اكتشاف 530 جثة في كنيسة كاثوليكية في مدينة " كانونجو " ، ثم اكتشفت مقابر جماعية أخرى تباعاً ، حتى زاد عدد المنتحرين على الألف نسمة .

ـ جماعة جيم جونز

أتباع القس (جيم جونز) ، وهو قس مهووس ، ومدمن للمخدرات ، وأقام لأتباعه مزرعة ضخمة وجمعهم فيها ، وأباح لهم الجنس ، وأتاح لهم المخدرات ، وظنوا أن الحياة داخل هذه المزرعة هي السعادة ، ولكن بعد فترة خاب ظنهم ، وأصابهم الإحباط ، واستطاع

هـذا القـس إقنـاعهم بالانتحـار ، وبالفعـل فـي عـام 1978 أقـدم 918 شخصـاً علـى الانتحـار ، وكـان بيـنهم كثيـر مـن الأطفـال وكبـار السـن . والعجيـب أن الانتحـار كـان بتنـاول مـادة السـيانيد السـامة ، ومـن كـان يمتنـع عـن تنـاول السـيانيد مـنهم يـتم قتلـه رميـاً بالرصـاص . وكـان مقـر هـؤلاء مدينـة جويانـا بولايـة سـان فرانسيسـكوبالولايات المتحـدة ، وكـان أكثـر أعضـاء الطائفـة مـن الزنـوج السـاخطين علـى النظـام الاجتمـاعي ، والـذين كـانوا يعـانون مـن التفرقـة العنصـرية التـي يعـاملهم بها الأمريكان البيض .

ـ طائفة معبد الشمس

أتبـاع هـذه الطائفـة يتواجـدون فـي كنـدا ، وأوروبـا خاصـة فرنسـا وسويسـرا . ويعتقـدون أن للانتحـار الجمـاعي طقـوس معينـة تُمكـن الواحـد مـنهم أن يولـد مـن جديـد فـي كوكـب الشـعرى اليمـاني . وقـد وجـد 48 شخصـاً مـن أعضـاء هـذه الطائفـة قتلـى " منتحـرين " فـي أحـد الشـاليهات فـي سويسـرا وفـي جبـال الألـب بفرنسـا انتحـر 16 شخصـاً مـن أتباعهـا . وفـي كويبـك بكنـدا عثـر علـى جثـث لخمسـة منتحـرين فـي مـارس 1997 ، وكـان قـد سـبق ذلـك العثـور علـى جثـث خمسـة أطفـال آخرين في مدينة مونتريال بكندا أيضاً .

ولكن ماذا عن العالم العربي

فـي العـالم العربـي توجـد جماعـة " **محبـي المـوت** " وهـم مـن أخطـر الجماعـات التـي ظهـرت مـؤخراً وأخـذت فـي ممارسـة نشـاط غريـب نوعـاً

مـــا ، وهـــذه الجماعـــة أســـسها مجموعـــة مـــن الشـــباب العربـــي باليابـــان أخذوا في نشر أفكارهم الانهزامية بين الشباب عن طريق النت .

ووجـــدت هـــذه الجماعـــة مســـاحة كبيـــرة للحركـــة بـــين الشـــباب عـــن طريـــق المنتـــديات ومواقـــع التعـــارف الشـــهيرة والتـــي اتخـــذت منهـــا هـــذه الجماعـــة سبيلاً للوصول إلى عدد كبيرمن الشباب .

وتـــدعو هـــذه الجمعيـــة الشـــباب إلـــى الـــتخلص مـــن الحيـــاة ، لأن الحيـــاة التـــي نعيشـــها . علـــى حـــد قـــولهم . حيـــاة زائفـــة ، والحيـــاة الحقيقيـــة توجـــد فـــي العـــالم الآخـــر ، وأخـــذت هـــذه الجماعـــة فـــي نشـــر أفكـــارهم بـــين شـــباب مصـــر بصـــفة خاصـــة لأنهـــم يـــرون أن الشـــباب المصـــري هـــو شـــباب لـــيس لـــه ســـبيل للراحـــة ســـوى المـــوت ، نظـــراً لمـــا يعانيـــه فـــي حياتـــه اليوميـــة مـــن فقـــر وبطالـــة وتـــأخر ســـن الـــزواج ، بالإضـــافة إلـــى القمـــع الفكري والثقافي والسياسي .

بـــدأت هـــذه الجمعيـــة نشـــاطها منـــذ مـــا يقـــرب مـــن ثـــلاث ســـنوات وتعتبـــر هـــي المســـؤول الأول عـــن حـــوادث الانتحـــار الجمـــاعي عبـــر الإنترنـــت والتـــي انتشـــرت مـــؤخراً فـــي مصـــر والـــوطن العربـــي ، ومـــن أهـــم الوســـائل التـــي تســـتخدمها هـــذه الجمعيـــة لأجتـــذاب الشـــباب نحوهـــا الفقـــر والأزمـــات العاطفيـــة بالإضـــافة إلـــى أن هنـــاك عـــدداً كبيـــراً مـــن الشـــباب المعتقلـــين قـــد انضـــموا لهـــذه الجماعـــة عقـــب خـــروجهم مـــن المعـــتقلات بســـبب شـــعورهم بإهانة آدميتهم لدرجة جعلتهم لا يرغبون في الحياة .

*هناك نوع آخر من الانتحار وهو جلد الذات

والنهاية تكون الانتحار ولهذا الأسلوب جذور في ثقافات بعض الشعوب والطوائف ومنها طائفة هندية منشقة عن الهندوسية وهي الطائفة (الجينية) ويعتبر (مهاويرا) المؤسس الحقيقي للجينية ، وقد ظهرت الجينية في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها (مهاويرا) وما تزال إلى يومنا هذا ، وهي مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد ، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر ، وهي تقوم على رياضات بدنية رهيبة وتأملات نفسية عميقة بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتنقيها .

أما النوع الثالث فهو الانتحار المصيرى المقصود

وهذا النوع لازال إلى يومنا هذا يمارس فى مجاهل الهندوسية الهندية وتتلخص فكرته في اختيار الأرملة الهندية إنهاء حياتها بنفسها لتلحق بمصير زوجها .

النوع الرابع وهو انتحار الكبرياء والكرامة أو ما يعرف بالطعنة النرجسية

ويحدث عندما يركز الشخص كل طاقاته الذاتية حول هدف معين ولا يفكر في شئ آخر وإذا فشل في الوصول إلى هذا الهدف أو تخيل الفشل فإنه يقدم على الانتحار .

النوع الخامس للانتحار هو الانتحار الواعي من أجل الهدف

والمقدمون على هذا النوع من الانتحار يحملون في طيات عقولهم رغبة الموت والإيمان بضرورته من أجل الوصول إلى أهدافهم ولكنها رغبة غير ظاهرة تماماً .

النوع السادس الانتحار في مرحلة الطفولة

ويقصد به الانتحار في الفئات العمرية دون 15 سنة وهي حالات نادرة وتكون عفوية لا يوجد فيها تخطيط أو تصميم بل تكون نتيجة تأثر الطفل بالخيال حينما يرى أفلاماً أو يقرأ قصصاً خيالية تشجعه عليه .

النوع السابع وهو الشعور بالنقص والخسارة والاحباط العاطفي

هو شعور يمكن أن يكون واقعياً أو خيالياً . ولكن عدم القدرة على تخطي ظروفه يجعل ضحاياه كثيرين ومن أشهرهم كليوباترا الأميرة المصرية التي انتحرت عندما سمعت إشاعة عن مقتل أنطونيوس ماركوس حبيبها الذي هزمه أوكتافيوس في معركة أكتيوم فانتحرت بلدغة أفعى كما فعل هو أيضاً .

*ونقول إن القاسم المشترك لمعظم حالات الانتحار هو الشعور باليأس وفقدان الأمل بالتقدم في الحياة وليس بالضرورة بسبب أمراض عقلية ، لذلك فإن الباحثين يقولون بأن هناك حاجة لتقييم أوضاع الأشخاص الذين يمكن أن يقدموا على الانتحار .

كما أن هناك أدلة على وجود حالة من اليأس والضغوط النفسية التي لا تطاق عند 90 % من الذين يقدمون على الانتحار أو يفكرون فيه .

ولما كان من الصعب التنبؤ بالانتحار فإن من الصعب بالتالي منع حصوله .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل للعوامل الوراثية والبيئة دور في ظاهرة الانتحار ؟

نقول أن الانتحار من الظواهر التي لا تزال تحير العلماء نظراً لغموض الدوافع والأسباب التي تكمن وراءه . ومع كل حادثة انتحار يتعاظم غموض الدوافع والأسباب ويقف المعنيون أمام السؤال الأزلي : لماذا ؟

لقد بدأ العلماء في كشف النقاب عن المؤشرات السلوكية ، كما أنهم يعملون على استكشاف أدلة تثبت وجود اختلافات تشريحية وكيميائية بين مخاخ المنتحرين ومخاخ الذين يموتون لأسباب أخرى .

وتحليل ذلك أنه يوجد في المادة الهلامية للمخ البشري خلايا وجزيئات تم ربطها بطريقة معقدة جداً . وتركز الأبحاث على جزء في القشرة الأمامية وهو القسم المغلف بعظم الجبهة . والمعروف أن القشرة الجبهية الأمامية هي مركز ما يعرف بالوظائف الإرادية للمخ وعليه ، بدأ العلماء بدراسة هذا الجزء بحثاً عن أدلة على وجود أساس بيولوجي للانتحار . ومن بين هذه الادلة الاختلافات في مستوى مادة السيروتونين في المخ بعد أن أشارات دراسات سابقة إلى ندرة هذه المادة . والسيروتونين هو ناقل عصبي ينقل الإشارة من خلية عصبية إلى أخرى .

وكانت تقارير قد ربطت قبل أكثر من عقدين من الزمن ، بين انخفاض مستوى السيروتونين في المخ وبين الإصابة بالاكتئاب والسلوك العدواني ولكن علاقة هذا الأمر بالانتحار لم تكن واضحة بعد . ولكن لوحظ في عدد من الدراسات أن هناك انخفاض في مستوى السيروتونين في مخاخ المنتحرين .

وهناك اتفاق بين العلماء على أن نظام السيروتونين في المخ هو مفتاح فهم ماهية الانتحار وأن هناك أدلة كثيرة تشير إلى وجود خلل في مستوى السيروتونين ولكن هذا الخلل لا يوجد بمفرده بل برفقة أنواع أخرى من القصور .

وربما يتمكن العلم يوماً ما من التوصل إلى فهم أفضل لمثل هذه الأفعال المرعبة لتجنب مثل هذا النوع من الكوارث . ليتمكن الأطباء يوماً ما من تحديد الأشخاص الأكثر ميلاً للانتحار وبالتالي العمل على منع حدوث هذه المأساة .

أما من الجهة القانونية فنتسأل هل لأي إنسان الحق في قتل نفسه ؟ وهل هي جناية أم جنحة أم لا يمكن اعتبارها جريمة تستحق العقوبة ؟ وما هي حقوق المنتحر المدنية والشرعية إذا وجدت ؟

وقبل الخوض في بيان موقف القانون الوضعي من الانتحار ، تجدر الإشارة إلى أن الأديان السماوية تجمع على تحريم الانتحار .

ففي الإسلام ، الانتحار من كبائر الذنوب . أما في المسيحية واليهودية فنجد الكتاب المقدس يرى أن الانتحار مساوٍ للقتل . وأن الله وحده هو الذي يقرر كيف ومتى يموت الشخص . وأن أخذ

الإنسان لهذه السلطة في يده يعتبر بمثابة تجديف على الله وفقاً لتعاليم الكتاب المقدس . ووفقاً للكتاب المقدس أيضاً فإن الانتحار هو فعل قتل وهو خطية وأنه لا توجد أية ظروف يمكنها تبرير الانتحار ، وأن قرار متى نموت هو في يد الله وحده .

هذا ولقد كان الانتحار أو الشروع فيه جرائم يعاقب عليها القانون في أغلب التشريعات الجزائية في العالم ، وكان المنتحر يحاكم بعد وفاته ما قبل الثورة الفرنسية مثلاً بحيث يقضي بمصادرة أمواله ، ولا يزال التشريع الجزائي في بريطانيا يعاقب على الانتحار أو الشروع فيه .

أما أغلب التشريعات الجزائية فإنها على العكس لا تعاقب على الانتحار ولا على الشروع فيه ، وإنما تخرج هذه الظاهرة من نطاق القانون لتدخلها في حيز الدين والأخلاق .

ولما كان الانتحار يصعب معه توقيع أية عقوبة على المنتحر ، فيخرج بذلك عن دائرة التجريم والعقاب ، ذلك لأن التجريم يفترض تقديم المتهم للمحاكمة وإحاطته علماً بالإتهام المنسوب إليه ومنحه فرصة الدفاع عن نفسه وردء شبهة الاتهام الموجهة إليه عن نفسه ، وهو أمر لا يمكن أن يحدث أبداً .

أما الشروع في الانتحار فيمكن من الناحية النظرية تجريمه والعقاب عليه غير أن الزج بالحل الجنائي هنا أي :التجريم والعقاب من شأنه أن يعقد الأمور ؛ فمعاقبة الشخص الذي حاول الانتحار ولم يفلح ، قد يؤدي إلى زيادة هموم وآلام الفاعل ، مما قد يدفعه إلى

التفكير مرة أخرى في الانتحار وعدم الفشل في تحقيق غايته ، في حين أنه إذا لم يُجرم الشروع فإن الظروف قد تتحسن ويرجع عن فكرة الانتحار . وقد يدفعه ذلك إلى استغلال طاقاته وإمكانياته ليكون إنساناً فاعلاً في المجتمع ؛ ويعود إلى صفوف المواطنين الأسوياء .

وإذا تحولنا لنتناول ظاهرة الانتحارفي ظل واقعنا الذي نعيشه الآن خاصة في العالم العربي نجد التساؤل الذي يطرح نفسه هو:هل حوادث اشعال النار بالنفس من أنواع الانتحار أم أنها قضية وطنية وفعلاً فدائياً يصنع ثورات عديدة لتغيير الأوضاع في البلدان العربية ؟

في الحقيقة أن هناك مفارقة غريبة انتهت إليها تداعيات " الثورة التونيسية ضد تغيير الحاكم والانتفاضة على الفساد في باقي الدول العربية , ففي الوقت الذي خرجت فيه المظاهرات ترحيباً بقدرة المواطن التونسي على تغيير واقعه العام وتنديداً بغلاء الأسعار , تكررت حوادث انتحار المواطنين في دول أخرى ألهمهم الشاب التونسي " بوعزيزي" للأعلان عن رفضهم للواقع ،ولكن هل يمكن أعتبار بوعزيزي منتحر أم شهيد أم فدائي؟ ،وهل أصبح الانتحار ظاهرة ؟ وهل يمكن اختزال المكاسب التي تحققت على أرض الواقع في الشارع التونسي والتي أشعلت فتيل الاحتجاجات في باقي الدول العربية تفاعلاً مع انتحار الشاب التونسي " محمد بوعزيزي ".

في الواقع يفسر أحد استشاريي الطب النفسي سلوك المنتحرين بقوله أن الانتحار سلوك متعدد الدوافع ينشط حين يختل التوازن بين

غريزتّي الحياة والموت ، وهو لا يولد في لحظة تنفيذه أو محاولة تنفيذه وإنما يكون رابضاً كخيار في طبقات اللاوعي إلى أن يطفوعلى السطح وينشط في ظروف بعينها ليكون الخيار الوحيد الذي يراه الشخص في تلك اللحظة أفضل الحلول .

والانتحار بهذا المعنى ليس حدثاً عشوائياً ، وإنما هو منظومة فكرية ووجدانية وسلوكية تنتظم أجزاؤها عبر السنين والأحداث ليبرز كوسيلة للخروج من مأزق أو أزمة في شخص وصل إلى حالة من انعدام الأمل وقلة الحيلة ، وقع تحت ضغوط فاقت احتماله ، وضاقت أمام عينيه الخيارات أو تلاشت ، أو أرادها هو أن تضيق وتتلاشى ، عندئذ هدد وأنذر ، وأرسل إشارات استغاثة لكنها لم تصل إلى من يهمه الأمر ، أو وصلت ولم يسمعها أحد ، أو سُمعت ولم يفهمها أحد ، أو فُهمت ولم يستجب لها أحد ، وهنا وقعت الكارثة . ولعل أوضح مثال لهذه المنظومة هو ما حدث مع الشاب التونسي " بوعزيزي " التي سارت قصته حسب هذه المنظومة الفكرية والوجدانية والسلوكية.

هناك من يرى في بوعزيزي بطلاً ثورياً ، وأن الإشارة إلى حادثته يمكن أن تؤجج ثورة الشعوب العربية الأخرى ، وهو ما حصل بالفعل حينما تكررت حوادث إشعال النيران في الدول العربية الأخرى . لكن هناك من لهم وجهة نظر أخرى تقول أن عملية بوعزيزي انتحارية ، إذ يمكن أن تقوم الثورة من غير أن يشعل أحد النار بنفسه وعلى هذا الأساس يعتبر منتحراً .

وفي حديثنا عن ظاهرة الانتحار لا يمكن أن نغفل عن التطرق لتناول الاستشهاد ، فهوحدث تتضافر في عملية إنتاجه عدة عناصر منها خرق حكم العادة ، واختيار المستشهد الخروج عن المألوف أو النص الثابت .

إنه فعل " غير يومي " يستدعي إرتكابه طاقة فذة وإستعداداً ذهنياً ونفسياً قل أن يتوفر لدى كل البشر المنهمكين في " شؤون الحياة " هرباً من وسواس فكرة الموت المُلحة ، ولهذا السبب فهو فعل نادر الحدوث .

ولكي يتسنى للمستشهد تنفيذ فعل الإستشهاد لابد من توافر عناصر أهمها :

أ)جسارة وشجاعة فوق العادية .

ب)قناعة بضرورة قرار الإستشهاد .

ج)منظومة من الأفكار والمُثل تمتلك من السطوة والجاذبية القدر الكافي الذي يجعل الدفاع عنها والتضحية بالنفس في سبيلها أمراً مُبررا بل ومطلوباً أيضاً .

ولكن هل هناك وجه شبه بين الاستشهاد والانتحار ؟

في الواقع وجه الشبه بينهم شكلي فقط لا يتجاوز حد أن كلا الفعلين يصدران عن قرار فردي يُختتم بموت الفاعل ، لكن الهوة بينهما سحيقة فالانتحار هدفه " خلاص الفرد الفاعل " أما الإستشهاد فغايته " خلاص الجماعة " . إن الشعوب والأقوام تسير دوماً على

طريق مهدته جثث الشهداء لا المنتحرين ! الشهيد هو دوماً شهيد فكرة ما ، وهدف ما ، وحلم ما .

أما عن معنى الاستشهاد لغوياً

فالاستشهاد مشتق من الشهادة فأستشهد بمعنى سُئل للشهادة والشهادة هنا عن الإيمان الذي يدين به الإنسان ، هناك بعض الناس يقرؤها إستَشهد ، لكنها أُستشهد فلان أي طُلب للشهادة ، فشهد للإيمان الذي يؤمن به . هذا هو إذن معنى الاستشهاد ، أن يشهد الإنسان للحق الذي يؤمن به .

ولكن لماذا الاستشهاد ؟

الشجرة في أوقات معينة ، خصوصاً أوقات الخريف ، تهتز هزة عنيفة ، هذه الهزة تجعل الأوراق تتساقط ، لكن أية أوراق ؟ في الخريف تجد الأرض كلها مغطاة بالورق ، هذا الورق الذي سقط لصالح الشجرة ، لأنه لولا سقوط هذه الأوراق لما كانت هناك فرصة لظهور البراعم الجديدة الخضراء أن تظهر .

هذه سياسة الله في الطبيعة ... فالشجرة لابد أن تمر بهذه التجربة الأليمة ، لكي تعطي فرصة للبراعم الجديدة الخضراء والنتيجة بعد كل هذا أن الهزة العنيفة لم تضر الشجرة وإنما أفادتها .

أولاً : الاستشهاد في المسيحية

ارتبط الاضطهاد بالمسيحية وهو يسير معها جنباً إلى جنب ، وأحياناً يصل إلى النهاية وهو ما نقول عنه الاستشهاد ، وأول

اضطهاد تعرضت له المسيحية كان من اليهود إذ ولدت المسيحية في وسط المجتمع اليهودي ، ورفض اليهود السيد المسيح وصلبوه ، واضطهدوا أتباعه بالقتل والتعذيب أو بالوشاية وإثارة الجماهير أو بالمقاومة الفكرية .

بعدها دخلت المسيحية الناشئة في صراع طويل مع الوثنية متمثلة في الإمبراطورية الرومانية بما لها من سلطة الدولة وقوة السلاح وقد وصل هذا الصراع إلى حد الإبادة أى الاستشهاد ، وكان الصراع غير متكافئ إذ لم يكن للإيمان الجديد ما يسنده من قوة زمنية أو سلاح واستمر الصراع حتى أوائل القرن الرابع حين قبلت الإمبراطورية الرومانية الإيمان بالمسيح وسقطت الوثنية .

لماذا اضطهدت الدولة الرومانية المسيحية ؟

جاء الإيمان بالمسيح يحمل مفاهيم جديدة غير التي كان يألفها الناس في القديم ، ففي الوثنية كانت العبادة عبارة عن ترديد بعض التعاويذ وتقديم المأكل والمشرب للآلهة والتعاليم غامضة والشعائر والصلوات سراً ، عكس ما وجده الناس في المسيحية إذ وجدوا تعليماً مفهوماً وموضوعاً عظيماً للإيمان وديانة تستقر في أعماق الإنسان وفكره وروحه والعبادة فيها ترجمة عملية للإيمان .

كما أنه كان الدين والدولة شيئاً واحداً ، وكل الشعب يعبد إلهه وكان كل إله يحكم شعبه ، وكانت الدولة تتدخل في نطاق الضمير وتعاقب من يخرج عن هذه الشعائر والعبادة وأما المسيحية فقد

جاءت تفصل بين الدين والدولة حسب قول السيد المسيح " أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله ، لله " .

أما عن حلقات الاضطهاد العشر ، فمنذ القرن الخامس الميلادي تعود المؤرخون على تقدير الاضطهادات التي خاضتها الدولة الرومانية ضد الكنيسة المسيحية بعشرة اضطهادات كبيرة تحت حكم عشرة أباطرة هم على الترتيب :

نيرون ، دومتيانوس ، تراجان ، مرقس أوريليوس ، سبتيموس ساويرس ، مكسيمينوس ، ديسيوس ، فالريان ، أوريليان ، دقلديانوس .

أما عن دوافع الاستشهاد في المسيحية فنقول أنه لا يوجد في تاريخ كل البشرية شهداء مثل شهداء المسيحية ، في حماسهم فقد كانوا يقبلون الموت في فرح وهدوء ووداعة تذهل مضطهديهم ، لذلك لم يكن استشهادهم نوعاً من الجنون والجهل والحماقة وكذلك لم يكن نوعاً من الهروب من الحياة أو الانتحار تحت ظروف قاسية بل كان شهادة للتمسك بالايمان .

ولكن هل يوجد في الكتاب المقدس ما يبيح أو لا يبيح الانتحار ؟

الانتحار هو قتل ... مثل أي قتل ... قتل للنفس التي هي في سلطان الله ؛ فهو تعدٍ على سلطان الله الذي له وحده السلطان في إعطاء الحياة أو أخذ النفس ... والنهي عن القتل كان ضمن الوصايا العشر : " لاتقتل " (خروج 20 : 13) .

والانتحار أمر غير مُبرر على الإطلاق ... فنرى من خلال خبرات العاملين في مجال الأزمات أن الانتحار غالباً ما يكون محاولة للبحث عن حل دائم لمشكلة مؤقتة! فهو محاولة للهروب من جحيم المشاكل الذي لا يدوم ، إلى الجحيم الأبدي الذي لا ينتهي بسبب تلك الخطية ... ؟!

وإن كان الكتاب المقدس يبيح الانتحار ، لكان الكثيرون انتحروا بسبب المشكلات التي يواجهونها ، رغم أن بعضهم تمنى الموت في بعض الأحيان ، والبعض يئسوا من الحياة في أحيان أخرى .

ولا يجب أن ننسى أن الانتحار هو ضد الإيمان ... بل يجب أن نكون مطمئنين بالوعد الكتابي " نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده " (رو8 : 28) .

الاستشهاد في الإسلام

بقدر ما يحمل فعل الاستشهاد او معنى الشهادة بذاتة فى المفهوم الاسلامى صورة العطاء الاكمل والبذل الاسمى فانه يحمل فى واقعنا المعاصر ارباكاً وتشويشاً وذعراً وفى اكثر الاحيان إدانة وتجريم الأمر الذى دفع النخب الدينية وعلماء الدين إلى التشدد فى شروطة والتبرؤ من فوضى أو عبثية ممارستة .

والشهادة في اللغة ، خبر قاطع ، وأشهِد بكذا أى أحلف . المشاهدة : المعاينة . استشهدت فلاناً أى سألته أن يشهد . والملاحظ هنا أن الفاظ الشهادة لم ترد فى القرآن بمعنى القتل فى

سبيل اللة بل بمعناها اللغوى ويقول العلامة الطباطبانى صاحب تفسير الميزان" الشهداء شهداء الأعمال "اما لفظ الشهداء بمعنى القتلى فى المعركة فلا يرد بهذا المعنى فى القرآن وإنما هو من الالفاظ المستحدثة الإسلامية.

وقد تم التوسع في لفظ الشهيد ، ليدل على المقتول في سبيل الله ، فيقال استشهد أى قُتل شهيداً ، وتشهّد أي طلب الشهادة . ويقال في وجه التوسع ، كما عن الأنباري : " أن الشهيد سمي شهيداً ، لأن الله وملائكته شهود له بالجنة ، وقيل سموا شهداء لأنهم ممن يستشهد (يطلب منهم أداء الشهادة) يوم القيامة .ويقول الكسائي : " سمي المقتول في سبيل الله شهيدا لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قُتل " .

ومن البديهي القول هنا ، إن الإسلام لم يطلب الشهادة لنفسها ، بل شرع الجهاد بالنفس والمال . مما يعني أن الشهادة ثمرة عليا أو محصلة نهائية لفعلٍ أو سلوكٍ إسمه الجهاد أو القتال في سبيل الله ، الذي غايته المثلى لتكون كلمة الله هي العليا . لذلك لم يُفرد الفقهاء في مباحثهم ، مبحثاً مستقلاً للشهادة أو القتل في سبيل الله ، بل ألحق بباب أحكام الجهاد ، لكونه من آثاره ونتائجه وعوارضه .

والحقيقة أننا نعيش هذه الأيام في عالم تنافسي ، يجعل الفرد مرغماً على مصارعة الآخرين ، ليصبح كل فرد خصماً حقيقياً أو محتملاً للجميع . كما أننا ، نعيش أوضاعاً داخلية ، تمس الإنسان في وجوده وكرامته وسلامته ، يكون الإنسان بسببها محروماً من

ممارسة حقوقه الأساسية . الأمر الذي يجعل الموت الإرادي ، أو " الاستشهاد " المعاصر ، استنكافاً مقنّعاً بقناع ديني عن الاستمرار في العيش داخل واقع يمجد إذلال الإنسان . هذا يعني أن الكثير من صور الاستشهاد قد لا تكون ببواعث عقيدية ، كما يظن البعض ، بل تكمن في تدني مستوى الحياة وفقدان الدافع لاستمرار العيش فيها . مما يعني أن حل المشكلة قد لا يكمن في إزالة الحروب أو العنف أو العدوانية أو حتى التطرف ، بل يكمن في رفع مستوى الحياة نفسها . أي في جعل الناس يرغبون في الحياة وجعل الحياة نفسها جديرة بأن تُعاش .

العمليات الاستشهادية أو الانتحارية في ميزان الشرع :

قبل أن نخوض في غمارة هذه المسألة ، ينبغي أن نعلم أن مثل هذه المسألة التي تسمى بالعمليات الاستشهادية ، وعند البعض بالانتحارية أنها من الممارسات المعاصرة التي لم تكن معروفة لدى الفقهاء المتقدمين ، ولا تكاد تجد نصاً عليها ، ولا على الطريقة التي ينفذها البعض اليوم ، وذلك لأنها من أنواع المقاومة الحديثة التي استكشفت بعد ظهور المتفجرات والألغام . وقد تكون جزءاً مما يعرف بحرب العصابات التي تقوم بها مجموعات أو يعرف بالفدائيين في البلاد التي تم الاستيلاء عليها عنوة وقهراً كفلسطين ، وكشمير ،والشيشان ، وغيرها من البلاد .

ولجأ بعض أهالي تلك البلاد المحتلة إلى هذه العمليات الاستشهادية على وجه الخصوص لما يتعرضون له في داخل بلادهم من سطوة أعدائهم وإهانتهم لهم ، وهذا كله أدى إلى قلة الخيارات أمام هؤلاء

الجماعات ، لأن من عوامل ضعف الإنسان أن تنعدم الخيارات لديه أو تقل ، فيلجأ إلى ما يدل على اليأس ولو أدى ذلك إلى أن يضحي بنفسه .

أما عن حكم العمليات الاستشهادية :

أن هذه المسألة من المسائل العويصة التي لا يمكن أن تعرف حكمها الشرعي بسهولة ، لما فيها من التجاذبات الفقهية ، وعلى هذا ، فقد تم تقسيم حكم هذه المسألة إلى حالتين مختلفتين ، ويتنوع حكم كل حالة على حسب الظرف الذي تقع فيه هذه العملية :

الحالة الأولى : الانغماس في العدو طلباً للشهادة في سبيل الله :

ذكر العلماء أن هذه النوعية تتمثل في العمليات الاستشهادية التي يعزم المجاهد بها على الشهادة ، من غير أى تفكير ، أو تدبير للخروج بسببها على قيد الحياة . وهذا غالباً يكون عن طريق الاشتباك مع العدو في قتال ، يقصد به إلحاق الضرر بالعدو. وذلك إما بإيقاع الإصابات البالغة في صفوف العدو ، من قتل وجرح ، أو إنزال الرعب في قلوبهم .

الحالة الثانية : أن يعمد الإنسان قتل نفسه مع أكبر عدد ممكن من العدو

وهذا النوع من العمليات يمكن التمثيل له بما لو وضع المقاتل في سيارته بعض القنابل والألغام ، أو المواد المفخخة ، أو المتفجرات ، أو يلف بجسده حزاماً ناسفاً ، ثم يقتحم مقر الأعداء وأماكن تجمعاتهم ، أو يظهر الاستسلام لهم ، ثم يقوم بتفجير تلك المواد أو

القنابل المتفجرة بقصد أن يقتل أكبر عدد ممكن من العدو ، ولو أدى ذلك إلى التضحية بنفسه . أما حكم هذه النوعية من العمليات الاستشهادية فقد أختلف فيه العلماء المعاصرون على قولين :

القول الأول : جواز هذه العمليات :

أن أصحاب هذا الاتجاه يمنعون تسمية هذه العمليات بالعمليات الانتحارية ، بل يرونها من أفضل السبل التي يتقرب بها الإنسان إلى الله ، وأن هذا من النكاية بالعدو .

القول الثاني : عدم جواز هذه العمليات :

ذهب أصحاب هذا القول إلى تحريم هذا النوع من العمليات ، ويسميها بالعمليات الانتحارية ، ويقود هذا الرأي بعض المشايخ ومفتي السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ .

ويرون أن الذي يقوم بهذه العمليات يخشى عليه من أن يلحقه الوعيد الذي ورد فيمن قتل نفسه .

أدلة المانعين والمجيزين في العمليات الاستشهادية:

أولاً : أدلة المجيزين للعمليات الاستشهادية :

استدل المجيزون لهذه العمليات بعدة أدلة منها : ماورد من الأحاديث في انغماس الصحابة في صفوف العدو ، والإقدام عليهم لنيل الشهادة في سبيل الله .

وكذلك استدلوا من أقوال الفقهاء في جواز اقتحام الرجل في صفوف العدو للنكاية بهم وإن كان يترتب على ذلك تعريض النفس للهلاك .

ثانياً : أدلة المانعين للعمليات الاستشهادية :

استدل المانعون من العمليات الاستشهادية بالأدلة التي تمنع المسلم من قتل نفسه.

وكذلك استدلوا بالحديث " من تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو في نار جهنم ، يتردى منه خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سماً فقتل نفسه ، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده ، يجأ بها بطنه في نار جهنم خالاً مخلداً فيها أبداً " صحيح البخاري ، حديث رقم 5787 .

وفي ختام هذه الدراسة نقول أن هناك فرقاً بين الموت انتحاراً والموت استشهاداً . فالموت انتحاراً هو قرار من الإنسان بإنهاء حياته بنفسه . بينما الاستشهاد فيختلف في معناه وكيفيته من مجتمع لمجتمع ومن دين لآخر لاختلاف الغرض منه ، حيث أن طريقة موت الإنسان ليست هي العامل المحدد لمصيره بعد الموت كمكافأة لما أقدم عليه بل ما يؤمن به وأسلوب حياته التي عاشها على الأرض هو الذي يحدد هذا المصير .

فالإنسان الذي أقدم على الانتحارإنما هو إنسان يعاني من الاكتئاب والاضطرابات والأزمات النفسية التي أربكته ودفعته إلى أن يقدم على التخلص من حياته نهائياً . لكن ليس معنى أن يتعرض الإنسان للكثير من الضغوط أن يُنهي حياته وقت ما يشاء ، لأن قرار إنهاء الحياة حق لله كمانح نسمة الحياة للإنسان ، فإن المنتحر يكون قد مارس عملاً في إنهاء حياته ليس من حقه ولا سلطانه .